

العنوان:	إشكالية المحبة بين أفلاطون وابن حزم
المؤلف الرئيسي:	قاضي، هشام
مؤلفين آخرين:	بن قويدر، عاشور(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2017
موقع:	ورقة
الصفحات:	1 - 64
رقم MD:	1008263
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة قاصدي مرباح - ورقلة
الكلية:	كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
الدولة:	الجزائر
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	أفلاطون، ارستوكليس بن ارستون، ت. 347 ق. م. ، ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت. 456 هـ، العصر الإغريقي، الفلسفة الأفلاطونية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1008263

لإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

قاضي، هشام، و بن قويدر، عاشور. (2017). إشكالية المحبة بين أفلاطون وابن حزم (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، ورقلة. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/1008263>

إسلوب MLA

قاضي، هشام، و عاشور بن قويدر. "إشكالية المحبة بين أفلاطون وابن حزم" رسالة ماجستير. جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، ورقلة، 2017. مسترجع من <http://1008263/Record/com.mandumah.search/>

الفصل الأول: سؤال المحبة عند أفلاطون

المبحث الأول: ماهية الحب وأنواعه.

المبحث الأول: علاقة الحب بنظرية المعرفة وفلسفة الجمال.

المبحث الثالث: امتدادات الفلسفة الأفلاطونية.

تمهيد:

لم يكن "أفلاطون" Platon (428-348 ق.م) أول من حاول معالجة إشكالية المحبة، بل كانت هذه الإشكالية مطروحة في الفكر الإغريقي قبل ذلك بزمان طويل حيث تناولها كبار الشعراء والكتّاب المسرحيين والفلاسفة التراجيديين. ويتجلى ذلك من خلال الرموز الأسطورية الكثيرة التي نسجت خيالات الشعراء والكتّاب اليونانيين الكبار من أمثال "هوميروس" "هيزيورد" و"أنباذوقليس".

ولعل من أشهر تلك الأساطير التي تعبر عن المحبة وعن الحياة العاطفية للإنسان: بجماليون، أدونيس، كوبيدون، أفروديت... الخ.

أما الفلاسفة اليونانيون التراجيديون، فإنهم وإن لم يمنحوا هذه الإشكالية قسطا كبيرا من اهتماماتهم مقارنة بإشكاليات أخرى كسمولوجية أنطولوجية، إلا أننا نجدهم قد حاولوا أن يطرحوا بعض التساؤلات بصورة محتشمة وخجولة حول المحبة، ويظهر ذلك في بعض شذرات "هراقليطس" المشهورة في ثنايا كتابه "جدل الحب والحرب". وفي كتابات "أنباذوقليس" الذي أعطى إشكالية المحبة بعدا انطولوجيا (وجوديا)، هذا دون إهمال الفلسفة السفسطائية.

ولعل ما قدّمته الثقافة اليونانية قبل أفلاطون من تساؤلات وأجوبة حول المحبة وإن كانت محتشمة وخجولة كما أسلفنا، ويطغى عليها "المُتخيل" أو "الميتوس"، إلا أنّها كانت بمثابة ينبع عذبة ارتوت منها الفلسفة الأفلاطونية في معالجتها لذات الإشكالية فكيف عالج أفلاطون إشكالية المحبة مستفيدا مما وجده من تراث يوناني قديم؟ وما هي انعكاسات هذه الفلسفة على الفلسفات اللاحقة، وعلى الفلسفة والثقافة في بلاد اليونان؟

المبحث الأول: ماهية الحب وأنواعه.

أ- ماهية الحب :

عالج أفلاطون* إشكالية المحبة في مجموعة من المحاورات نذكر منها على وجه الخصوص مُحاورتي "المأدبة" و"فايدروس"، مع العلم أن الأولى أكثر قيمة وأهمية وشهرة من الثانية، كما تحدث بإيجاز عن ذات الإشكالية في محاورات أخرى "كالجمهورية" و"فيدون"، وإن كان في هذه المحاورات لم يُعنى بشأن المحبة إلا بالقدر الذي يخدم موضوعاته الأخرى التي صوّب اهتمامه نحوها، كالمدينة، والسياسة والنفس والفضيلة والمعرفة... الخ.

ولهذا السبب كان وما زال الكثير من المفكرين والباحثين يركزون على محاور "المأدبة" في دراساتهم لإشكالية المحبة عند أفلاطون، محاولين البحث عن الرأي الأفلاطوني المتشابه مع آراء عديدة يُقدّمها

أبطال محاوراته .وغالبا ما يماهون بين رأي أفلاطون ورأي أستاذه "سقراط" Socrate 470 - 399 ق.م، أي أنهم يتعرّفون على رأي أفلاطون من خلال أحاديث "سقراط"، ذلك لأنّ صاحب "المأدبة" غالبا ما يجعل "سقراط" متحدّثا باسمه.

ولكن ،ماذا يقصد أفلاطون "بالمأدبة"؟

قصد أفلاطون "بالمأدبة" الاجتماع على المودّة، والاتصال بالألفة والمحبة إذ لا تحصل المؤاكلة إلّا مع الوثائم ،ولا تجري المنادمة إلّا مع الصحبة والائتلاف¹.

أمّا عن ماهية الحب عند "أفلاطون"، فيرى صاحب المأدبة -على لسان سقراط- أنّ الحب " ابن الغنى Paros، والفقر Pania، وكان ذلك ليلة مولد أفروديت"².

يتّضح من الأسطورة أنّ الحب يولد من رحم الفقر الذي هو شكل من أشكال المعاناة، وهو بحاجة ماسّة إلى الجمال ،أي أنّه يتعشّق الجمال ،كما هو وارد في نص الأسطورة من خلال عشقه لأفروديت (إلهة الجمال). والحبّ ليس باله ،بل وسط بين الآلهة والبشر ،فهو شبيه بربات الجمال التي يتحدّث عنهنّ أفلاطون في نظريّته عن الفن. " ولمّا كانت الحكمة شيئا جميلا كان الحب أيضا حبّ الحكمة، لأنّه وسط بين الحكمة و الجهل، فأبوه حكيم حاذق، وأمّه جاهلة عاجزة"³، فهو إذا، ليس بحكيم ولا بجاهل، بل وسط بين الحكمة والجهل.

بمعنى آخر، لو كان الحبّ إلها لما سعى إلى طلب الحكمة وتحصيل المعرفة، فهو بألوهيّته مستغن عنها، ولو كان جاهلا لما كلّف نفسه تحصيلها، لأنّ الجاهل راضٍ بجهله، فعلى حد قول المتنبي: " وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم".

في ضوء ما سبق ،يتّضح بأنّ الحبّ عند أفلاطون ،هو وسط بين الألوهية والإنسانية ،وبين الحكمة والجهل ، " والحبّ ليس جميلا ولكنّه أكثر الكائنات رغبة في الجمال ،لأنّه يهدف إلى الخلق في الجمال"⁴،فهو هادف ،توّاق ،متعشّق دائما للجمال.

* فيلسوف يوناني شهير، ولد سنة 428 ق.م وتوفي سنة 348 ف.م، كان تلميذا لسقراط وأستاذا لأرسطو، يعتبر الرائد الأول للفلسفة المثالية والأب الروحي لأتباع هذه الفلسفة، له مجموعة من المحاورات أشهرها: "الجمهورية"، "القوانين"، "فيدون"، "المأدبة"... إلخ.

¹ - أحمد فؤاد الأهواني ، أفلاطون، دط (القاهرة: دار المعارف، 1965م) ص 54.

² - المرجع نفسه، ص 57 .

³ - إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، دط (بيروت: دار التنوير، 2009 م) ص 155 .

⁴ - أميرة حلمي مطر، فلسفة الجمال: أعلامها و مذاهبها، دط (القاهرة :مكتبة الأسرة، 2003 م) ص 47 .

ولو تمعنّا أكثر في تحليل، الأسطورة السابقة لتبيّن لنا أنّ أفلاطون قام بتحديد خصائص ثابتة للحب أبرزها: الوساطة، الرغبة في الامتلاك، الرغبة في الجميل «فالحب وسط بين طرفين: المحب والمحبوب، إنّه سعي المحب للحصول على المحبوب (الجميل، الكامل، الرشيق، المزهّر)⁵». والحب توليد، والتوليد ليس جسمانيا بيولوجيا فحسب، بل توليد روحي كذلك، والتوليد الروحي أهم من سابقه.

والمقصود بأنّ الحب توليد يتمثّل في أنّ، الشّوق " إلى المحبوب الجميل لا يكون لذاته، بل لشيء أعمق من ذلك وأبقى وأخلد، هو استمرار الجنس وحفظ النسل ... ومن أحبّ الجسد تزوّج حتى يُولّد، ويتعلّق بالنوع الأزلي ... ومن أحب الروح تعلّق بالحكمة وغيرها من الفضائل وعمل على توليدها"⁶.

والنوع الثاني من التوليد أهم في نظر "أفلاطون" من الأول، ولهذا نجده يتكلم على لسان سقراط قائلا: "إنني أولّد الرجال لا النساء، فأنا أتولّى النفوس لا الجسام والخاصّة المميّزة للفن الذي أمارسه هوأنّه قادر على إثبات نوع التفكير الناتج من الشّباب"⁷.
ب- أنواعه:

لم يعترض أفلاطون حين تحدّث "بوزانياس" في محاورّة المأدبة عن نوعين من الحب، "حبّ ينسب إلى أفروديت الأرضية ابنة زيوس و"ديونسيوس" وهو كذلك الحب الشّائع بين العامة، يتّجه إلى النساء والغلمان، ويبغي الإستمتاع بالبدن، أمّا النّوع الآخر فهو الذي يُنسب إلى أفروديت السّماوية ابنة السّماء التي هي من صلب الجنس المذكّر وحده، فأتباعه يتّجهون إلى حب الرجال حبّا فلسفيّا يتّجه إلى النفس فقط"⁸.

فالنّوع الأول يمكن أن نطلق عليه اسم الحب المادّي أو الحسّي، أمّا النّوع الثاني فنطلق عليه اسم الحب الرّوحاني.

1- الحب المادّي (الحسّي):

⁵ - أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص 57.

⁶ - المرجع نفسه، ص 58.

⁷ - إمام عبد الفتاح إمام، مرجع سابق، ص 158.

⁸ - أميرة حلمي مطر، مرجع سابق، ص 46.

وهو في نظر أفلاطون يكون المقصود من وراء إشباع الرغبات الجنسية والحسية، إنه حبٌ حسيّ، فإن، لا يتجاوز فيه المحب حدود جسد من يحب، ويمكن أن نطلق عليه اسم التَّحرُّق الجسدي "إنَّ التَّحرُّق هو طلب للجسم، لكن ليس حباً كاملاً للشَّخص"⁹.

يتحدَّث أفلاطون عن الحب الحسيّ قائلاً: "فالرجل الفاسد هو الذي يتجه إلى الحب العامي، أعني عشق الجسد، لا الروح، سواءً أكان هذا الجسد لامرأة أو لغلام، فهو ليس مخلصاً لحبه، ولا بثابت على عهده، لأنَّ ما يعشقه ليس بثابت. فعندما يذبل جمال الجسد ينصرف بحبه إلى جسد سواه وتتبخَّر وعوده وكأنَّها أحلام"¹⁰.

إنَّ حديث أفلاطون عن هذا النوع من الحب ينسجم انسجاماً كبيراً مع موقفه الميتافيزيقي، ويتجلَّى ذلك من خلال احتقاره للجسد، واستنكاره وازدراءه للجنس.

قد يكون هجومه على الإفراط في الجنس إيجابياً، من حيث أنَّه في نفس الوقت يُعدُّ هجوماً على ظاهرة الجنسية المثلّية التي تفشَّت في عصره، ولكن هذا الهجوم لم يكن من أجل إعادة العلاقة الجنسية إلى وضعها الطبيعي أي؛ بين رجل وامرأة "بل يُلاحظ أنَّ أفلاطون لا يتحدَّث عن العلاقة الجنسية أيّاً كانت، إلّا بقدر قليل من الاحتقار، فحتى هذا الوضع الطبيعي بين الرجل والمرأة ينبغي أن يكون في أضيق الحدود، وبقصد الإنجاب فقط"¹¹.

وحين يتحدَّث أفلاطون منتقداً العلاقة التي تقوم بين الرجل والمرأة، لا ينتقده من حيث بعده الحسيّ السلبي محاولاً إعلاءه إلى حب روحاني، بل ينتقده لا لشيء إلّا لأنَّه حبٌّ للمرأة، وهو يفضِّل الحب الروحي القائم بين الرجال والصِّبيان، كما تحدَّث عن ذلك على لسان سقراط وبعض أبطال محاورته الآخرين. وسنعود لنفصِّل في هذه النقطة لاحقاً.

2_ الحب الروحاني:

إنَّ الحب الروحاني عند أفلاطون هو ذلك الحب "الذي يسمو بالمحب والمحبوب إلى أرقى درجات الرُّقي العقلي، فمثل هذا الحب الذي يصفه أفلاطون في "فيدروس" بأنَّه من أنواع الهوس الإلهي الذي يعدُّه

⁹ - أحمد ملاح، حديثي عن الحب، دط (وهران: دار القدس، 2010م) ص 2.

¹⁰ - إمام عبد الفتاح إمام، مرجع سابق، ص 152.

¹¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

من أعظم النعم. ولا تحظى بهذا الحب سوى نفوس الفلاسفة التي تمت لها رؤية الحقيقة فهي في شوق دائم إلى الاقتراب والحياة معها¹².

يرى أفلاطون أننا إذا أردنا أن نصل إلى هذا النوع الرفيع من الحب لابد أن نبدأ بحب الجمال، ولا بأس أن نبدأ بحب الجمال المادي ثم نرتقي شيئاً فشيئاً حتى نصل إلى الجمال الروحي الأزلي الخالد، وهنا قد نتساءل: جمال من هذا الذي نحبه؟ أهو جمال المرأة؟ لا نستغرب إذا كان الجواب بنعم، لكن أفلاطون لديه رأياً آخر، نجده ببساطة في "المأدبة" فيقول: "عندما يدرك المرء هذا الجمال الاسمي مبتدئاً من العالم الحسي، مستعيناً بحب الغلمان يكون قريباً من غايته، وهذا هو الطريق الصحيح للاقتراب من أسرار الحب"¹³.

ونجده أيضاً يقول على لسان سقراط بأن من يريد أن يسلك الدرب الصحيح في المحبة، ويصل إلى المحبة المثلى " عليه أن يأخذ نفسه من الصغر بتأمل الجمال الإنساني... وإذا ما أحسن مرشد إرشاده أحب أولاً فتى جميلاً... لكن حين يصعد من الأمور الأرضية لن يهتم بعد ذلك بذهب أو ثياب فاخرة، أو بجمال الغلمان والشبان"¹⁴.

سيغدو الحب الحقيقي في نظر أفلاطون وأستاذه سقراط متمثلاً في حب الذكر للذكر، لكن " بالروح لا بالجسد، وهو حب يُثمر أطفالاً روحيين لا ماديين، وهذا هو الخلود الحقيقي"¹⁵.

هو إذن، الحب الحقيقي المتمثل في الحب الروحاني عند أفلاطون، لقد نبذ المثلية الجنسية محاولاً القضاء عليها وإيجاد البديل المناسب لها، ولكنه، بدل أن يعيد الطبيعة الإنسانية إلى طريقها الصحيح، نجده يتسامى بالجنسية المثلية إلى حب يجمع بين شخصين من نفس الجنس على أسس روحية. إن أفلاطون حاول أن يخرج من مثلية جنسية، فوجد نفسه في مثلية من نوع آخر لا تقل عن سابقتها سوءاً وانحرافاً عن الطبيعة الإنسانية.

لنستمع إلى أفلاطون وهو يقول على لسان سقراط في محاوره "الجمهورية" مايلي:
" فعليك أن تفرض في الدولة التي تبنيها قاعدة هي أن على المحب أن يقبل محبوبه ويقترّب منه ويمسّه وكأنّه ولده، مستهدفاً غرضاً شريفاً، وذلك إذا أمكنه اكتساب قلبه. ومن الواجب على وجه العموم ألاّ

¹² - أميرة حلمي مطر، مرجع سابق، ص 47 .

¹³ - إمام عبد الفتاح إمام، مرجع سابق، ص 157.

¹⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

¹⁵ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يكون في علاقته مع ذلك الذي يُعنى به ما يدعُ مجالا للشك في أنها قد تتطرق و تتجاوز هذا الحد، حتى لا يرمى بسوء التربية وفساد الذوق¹⁶.

فما معنى هذا ؟ وما محل حب الرجل للمرأة والعكس صحيح من الإعراب؟

يقول جورج سارتون: " عندما نفكر في الحب تخطر لنا الصداقة الروحية التي تقوم بين رجل وامرأة، إلا أن أفلاطون كان يفكر في قيام صداقة روحية بين رجل وصبي، وكان الحب عنده إعلاء للواط، والحب الصادق كما يقول في "المأدبة" هو الطريقة الصحيحة لمحبة غلام¹⁷.

هذا ونشير إلى أن أفلاطون ذهب في محاورتيه "المأدبة" و"فيدروس"، إلى أن حب النساء أمراً مستتكر كريه، ولا أحد يعترض - بما في ذلك سقراط - على تفسيرات الحب "بوزانياس" Pausanias " و"أرستوفان"، وهما معاً يحملان على الجنسية المغايرة، أو الوضع الطبيعي للعلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة¹⁸.

تلك كانت أهم آراء أفلاطون في الحب من حيث ماهيته وأقسامه، فقسّمه إلى نوعين: حسي وروحاني والحق أن آراءه تحمل الكثير من التناقضات، بل والإساءة إلى الطبيعة البشرية، من حيث أنها تحاول تغيير سننها.

ولعل هذه الآراء المثيرة للجدل هي التي جعلت بعض الباحثين يذهبون إلى أنه كان مصاب بشذوذ جنسي " إنه لم يتزوج أبداً، وإذا كان يتحدث أحياناً عن العلاقة الجنسية التي تقوم بين الرجال والنساء، فحديثه مجرد من كل عاطفة. لكنّه يدخر مشاعره الرقيقة للعلاقات الشاذة مع بني جنسه . لقد كان ممن يبغضون المرأة، وهذا يبدو كثيراً في ثنايا كتاباته¹⁹.

¹⁶ - أفلاطون، الجمهورية، دراسة وترجمة: فؤاد زكريا، د ط (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر 2004 م) ص 269 .

¹⁷ - نقلا عن: إمام عبد الفتاح إمام: أفلاطون والمرأة، ص-ص، 152-153 .

¹⁸ - المرجع نفسه، ص 153 .

¹⁹ - إمام عبد الفتاح إمام، مرجع سابق، ص 153.

المبحث الثاني: علاقة الحب بنظرية المعرفة و فلسفة الجمال.

أ- علاقة الحب بنظرية المعرفة:

قبل أن نتصدى لتبيان العلاقة بين نظرية المعرفة والحب عند أفلاطون، يجدر بنا من باب التوضيح- أن نعرض بإيجاز نظرية المعرفة عنده حتى يسهل علينا كشف طبيعة العلاقة القائمة بين الإشكاليتين.

1- نظرية المعرفة عند أفلاطون:

أسس أفلاطون نظريته في المعرفة متأثراً بفلسفة أستاذه سقراط من جهة، وكرد فعل على الفلسفة السفسطائية من جهة أخرى، وإذا كان السفسطائيون قد اعتمدوا على الجدل في بناء نظرياتهم النسبية، وأسأوا استخدامها، جاعلين منه مجرد طريقة في الحوار تعتمد التّمويه والمغالطة، فإن أفلاطون لم يرفض الجدل كمنهج ولكنه رفض استخدامه بتلك الطريقة الإيديولوجية السفسطائية، وجعله بمثابة نوع من الإستدلال الذي يهدف إلى تطوير المعرفة، عن طريق مناقشات مخصصة وهادئة هادفة.

ولهذا يعرف أفلاطون الجدل بأنه " المنهج الذي يرتفع العقل به من المحسوس إلى المعقول، لا يُستخدم فيه شيئاً حسياً بل ينتقل من معانٍ إلى معانٍ بواسطة معانٍ"²⁰. ويعرفه أيضاً بأنه " العلم الكلي بالبادئ الأولى والأمور الدائمة يصل إليه العقل بعد العلوم الجزئية، وينزل به إلى هذه العلوم ويرتبها بمبادئها وإلى المحسوسات يفسرها"²¹.

بناء على مفهومه للجدل يقسم أفلاطون المعرفة إلى أربعة أنواع: المعرفة الحسية، وهي أخس أنواع المعارف تتمثل في معرفة عوارض الأجسام، والمعرفة الظنية " وموضوعها الأحكام المتعلقة بالمحسوسات من جهة ما هي محسوسة.... والمعرفة الاستدلالية، موضوعها الماهيات الرياضية كالمثلثة والمربعة والمستطيلة وإن لم تتحقق إلا في المحسوسات ولكنها في ذاتها ماهيا كلية عقلية"²².

أما المعرفة الأخيرة والعليا فتتمثل في المعرفة العقلية أو العقلية، وموضوعها الماهيات المجردة عن المادة والحس تجريدا دائما، وهي حسب أفلاطون أسمى المعارف، والماهيات المجردة عن المادة هي التي

²⁰- نقلا عن: محمد عبد الرحمن بيسار ، تأملات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ط3 بيروت: المكتبة العصرية، 1980م) ص 180 .

²¹- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

²²- المرجع نفسه، ص-ص، 180-181 .

يُطلق عليها صاحب الجمهورية اسم المثل، بمعنى آخر، إنّ المعرفة الحقيقية حسب أفلاطون هي معرفة المثل، وهذا الموضوع (المثل) غير موجود في العالم الحسي، عالم الكون والفساد "إنّه جواهر مجرّدة لا تدركها الحواس ولا يطرأ عليها الفساد والفناء"²³.

2- الحب ونظرية المعرفة:

ربط أفلاطون ربطا وثيقا بين الحب ونظرية المعرفة من خلال دراسته دراسة جدليّة تعتمد على منطق التّراتبيّة حيث "يضع له مستويات يفسرها دياكتيك "المأدبة" الصّاعد، الذي يبدأ من الجمال الجزئي المتمثّل في شخص معيّن ثمّ يصعد إلى الجمال الكلّي الذي تشارك فيه كل الأمثلة الجزئيّة، إذ يرتقي الحب فيتعلّق بالنّفوس الجميلة وما تتحلّى به من أخلاق"²⁴، ولا يتوقّف الحب عند هذا الحد بل "يصعد إلى جمال العلوم فيرقى إلى مستوى جمال المعقول فيتدرّج فيه حتّى يصل إلى الجمال ذاته فيحظى المحبّ بالرّؤية التي تتوّج هذه الأنواع كلّها ولا يحظى بهذه الرّؤية إلّا من كان فيلسوفا حقيقيا"²⁵.

ومثلما نجده يقسم المعرفة إلى أنواع، نجده بدوره يقسم الحب إلى أنواع كما أوضحنا في المبحث السّابق، ولما كانت أسمى أنواع المعرفة عنده هي المعرفة المجرّدة تجريدا دائما وتامّا من المحسوس، والتي تمثّل حقائق سرمدية، كانت أسمى أنواع الحب عنده الحب المجرّد من كلّ مادّة وحس، وكلا النوعين (المعرفة السّامية والحب السّامي) لا يصل إليهما سوى زمرة قليلة من البشر هم الفلاسفة.

هذا ونشير إلى أنّ نظريته في المعرفة والمثل، والتي شطر فيها الوجود إلى شطرين: وجود حسيّ، فان، ناقص، ووجود مثالي، كامل، سرمدى، هي التي لعبت دورا في توجيه أفكاره بخصوص علاقة الحب بالجنس، وموقفه الإبيستمولوجي و "الميتافيزيقي العام الذي يحتقر الجسد و لذّاته وشهوته"²⁶.

لقد حاول أفلاطون أن يقنعنا بعدم إمكانيّة " فصل الحب عن العقل، فهو الهوس الأسمى الذي يدفع محب الحكمة إلى الأمام في طلب الحقيقة، كما أنّ الحب الشّروط اللازم لتحقيق التّطابق بين العقل وبين الواقع باعتباره شرطا للمعرفة في المستوى الخاص بالعقلانيّة.... لقد أكّد أفلاطون في القوانين على أنّ

²³ - المرجع نفسه، ص 186 .

²⁴ - أميرة حلمي مطر، المرجع السابق، ص 46 .

²⁵ - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

²⁶ - إمام عبد الفتاح إمام، المرجع السابق، ص 152 .

الإنسان السامي النفس هو الذي يسود نفسه المبدأ العقلي الحاكم المدعو بالإيروس، تلك العاطفة التي تلهم الطبيعة الفلسفية والرأي القويم²⁷.

ب - علاقة الحب بفلسفة الجمال:

سنحاول، قبل التطرق إلى العلاقة بين الحب والجمال عند أفلاطون أن نسلط الضوء بإيجاز على النظرية الجمالية عنده، حتى يسهل علينا فهم العلاقة الماثلة بين الإشكاليتين، وإيضاحها على أحسن وجه.

1- فلسفة الجمال عند أفلاطون:

بسط أفلاطون نظرياته الجمالية في عدة محاورات "كالجمهورية" و "فايدروس" وقد منح الجمال مكانة محورية في فلسفته، حيث نجده يماهي بينه وبين الخير والحق، ولكن الجمال الذي يثني عليه أفلاطون يتمثل في الجمال كما فهمه هو وليس الجمال والفن بصورة عامة، فأفلاطون كثيرا ما استتكر الفنون الجميلة التي سادت في زمانه، كالشعر والمسرح والتصوير، مطبقا عليها نظريته في المحاكاة والمثل. يستند أفلاطون في بناء فلسفته الجمالية على نظريته في المحاكاة، ويقسم هذه الأخيرة إلى نوعين: "محاكاة تعتمد على معرفة ويصحبها الصدق، فهي أقرب ما تكون إلى التعبير الصادق الذي يلتزم بالحق وتحقق الجمال، وهناك محاكاة لا تصحبها معرفة وثيقة بحقيقة الأصل الذي تحاكيه، وإنما هي نقل آلي يعتمد على التمثيل ويخلو من الحق والجمال على السواء"²⁸.

ويشير أفلاطون في حديثه عن المحاكاة المزيفة المموهة إلى بعض مظاهرها المتمثلة في الأدب والفن الذي عاصره، فتهجم على الشعر والشعراء مثلا معتبرا إياهم مزيفين للحقيقة، ومحاكاتهم لها محاكاة لا تخلو من كذب ومغالطة وتمويه. لنصغي إليه وهو يقول في جمهوريته "إنني أصرح برأيي هذا لكم سراً، إذ أنكم لن تشوا بي لدى شعراء التراجيديا (المأساة) وبقية الشعراء الذي تقوم أعمالهم على المحاكاة، فيبدو أن هذا النوع من الشعر يؤدي الأذهان التي تسمعه دون أن يكون لديها تزيق ضده، أعني معرفة الطبيعة الحقيقية لما يتحدث عنه هذا الشعر"²⁹.

²⁷ - محمود مراد، دراسات في الفلسفة اليونانية، ط1 (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، 2004 م) ص-ص 114- 115 .

²⁸ - أميرة حلمي مطر، المرجع السابق، ص-ص 54- 55 .

²⁹ - أفلاطون، المرجع السابق، ص 504 .

ويقول أيضا: "واذن فهلا يحق لنا أن نستدل من ذلك بأن أولئك الشعراء، منذ أيام «هوميروس»، إنما هم مقلدون فحسب: فهم يحاكون صور الحقيقة وما شابهها، أو الحقيقة ذاتها فلا يصلون إليها قط"³⁰.

أما الفن الحقيقي عنده فهو: "فن بصير يأخذ بمحاكاة مستتيرة لأنها تنطوي على علم من يمارسها بما يجب عليه أن يحاكيه من مثل للحق والخير والجمال، وهذه المحاكاة لا توجد إلا لدى الفنان ذي الثقافة الفلسفية الواسعة، ربيب آلهة الفن وربات الشعر...وهنا تلتقي مهمة الفن الجيدة بالفلسفة، ويرتبط الجمال الفني بالحقيقة المثالية"³¹.

وهكذا، لا يخرج أفلاطون عن نسقه الفلسفي العام، بحيث يربط الجمال والفن بالحقيقة، فالجمال الحقيقي هو الذي يُعبّر عن الحقيقة السرمديّة الخالدة، كما يربطه أيضا بالخير، ولذلك نجده يزدري بعض أنواع الفنون كالشعر وفن التمثيل المسرحي والنحت التي يغلب عليها المجون والخلاعة، ويعتبرها سبب التفسّخ الأخلاقي والهبوط بإنسانية الإنسان إلى مستوى البهيمة، من حيث أنها تُعنى بالنازع (الغريزة) وتُغيب العقل.

إنّ الإنسان الذي "يُبدع الآثار الجميلة هو ذلك الذي يكون معبرا للناس عن الحقائق الأصلية لا صورها، وهو الذي يكشف في باطن النفس الإنسانية ما انطوت عليه من مثل إلهية فيقفز بها بفنّه إلى الناس، وفي هذا تتبثق العبقرية الفنية في رأي أفلاطون"³².

2- الحب وفلسفة الجمال:

رأينا في مبحث سابق أنّ من خصائص الحب الرغبة في الامتلاك، فالمحب تواقّ دائما إلى امتلاك من يُحب، وحتى حين يحقق الغاية المرجوة، المتمثلة في الامتلاك، فإنه يسعى للاحتفاظ بملكيتّه، وهنا نتساءل: ما طبيعة هذا الشيء الذي ينقص المحب فيرغب في امتلاكه حسب أفلاطون؟

يجيبنا صاحب "المأدبة" بأنّ "الجمال هو الشيء الذي لا تقبل النفس الحرمان منه ولا يوجد لديها شيء تعنى به أعظم منه...لأنّ النفس لا تقنع فقط بتقديس الجمال بل تجد فيه الطيب الشافي من كلّ الآلام المضنية"³³.

³⁰ - المرجع نفسه، ص 511 .

³¹ - أميرة حلمي مطر، مرجع سابق، ص 62 .

³² - المرجع السابق، ص 71 .

³³ - محمود مراد، مرجع سابق، ص 107 .

هذه الفكرة يصوغها أفلاطون معتمداً على أسطورة قديمها في مآدبته، فقد صار " الحبُّ رغبة دائمة في الجمال نتيجة لمولده، فقد ولد في ليلة مولد أفروديت فنشأ يحبُّها و يعشق ما فيها من جمال تابعاً وخادماً لها. والإيروس بسعيه هذا وراء الجمال يقودنا إلى المثل والالهة³⁴.

يرى أفلاطون أنَّ كل إنسان يسعى إلى الخلود، إلاَّ أنَّه لن يتمكَّن من تحقيقه، لأنَّه صفة من صفات الآلهة، كل ما يستطيعه الإنسان هو الاقتراب من الخلود على قدر ما تسمح به طبيعته البشريَّة " وهناك وظيفة يؤدِّيها الحب هي إنجاب ذرية في موضوع جميل، إمَّا عن طريق الجسم أو النفس، فكل البشر يحملون بالجسد أو بالروح، وعندما يصلون إلى زمن النَّضج يشعرون برغبة طبيعيَّة في الولادة، ولكن لا يستطيعون ذلك إلاَّ في الجمال، لا في القبح، فثمَّة شيء إلهي في تلك العمليَّة، ففي الحمل والولادة يصيب المخلوق الفاني حظاً من الخلود³⁵.

ولمَّا كانت الولادة في نظر أفلاطون نوعان : ولادة بيولوجيَّة، و ولادة عقليَّة رُوحِيَّة، فإنَّ الثَّانيَّة أهم من الأولى في نظره، لأنَّها تتَّم عن طريق بحث الإنسان " عن شاب جميل الجسم و النَّفس، ليقيم معه علاقة حميميَّة تحقِّق ملاذاً في الجمال للأفكار والأعمال النَّبيلة، ويحبِّد أفلاطون النَّوع الثَّاني لأنَّ الذَّرية النَّاتجة عنه هي الحكمة والفضيلة³⁶.

ثمَّ يتحدَّث أفلاطون عن جدل الحب الصَّاعد، فيربطه ربطاً وثيقاً، بالطريق " إلى محبة الأمور الرُّوحِيَّة هو البدء بالنَّعلُق بجمال البدن... وبعد ذلك فليعلم أنَّ الأجسام لا تساوي شيئاً إلى جانب جمال النَّفوس، وقد توجد النَّفس الجميلة في البدن القبيح، ولا غرابة أن يعشقها لما فيها من جمال، ثمَّ يقوده الكشف عن النَّفس إلى تأمُّل جمال النُّظم والقوانين، ثمَّ يرتفع من ذلك إلى محبة العلوم ومعرفة جمال كل نوع منها، حتَّى يبلغ إلى العلم بالجمال بالذَّات³⁷.

فالحب على هذا الاعتبار " هو القوَّة الَّتِي تأخذ بيد المحب منذ الصِّبَا وترفعه من الإعجاب بالجمال الجسدي الَّذي تُلهمه الأقاويل الجميلة، إلى جمال النَّفوس حتَّى ولو كانت مودعة في جسد قبيح، إلى جمال القوانين وجمال العلوم حتَّى تبلغ مثل الجمال بالذَّات، وهذا الطَّريق هو الَّذي يسمِّيه أفلاطون الجدل الصَّاعد³⁸.

³⁴ - المرجع نفسه، ص 107 .

³⁵ - المرجع السابق، ص 119 .

³⁶ - المرجع نفسه، ص-ص، 119-120 .

³⁷ - أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص 59 .

³⁸ - المرجع نفسه، ص 59 .

و هكذا نلاحظ بأن أفلاطون يربط ربطاً وثيقاً محكماً بين كل إشكاليّة من إشكاليّاته المحوريّة (الحب، الجمال، الخير، المعرفة)، فتبدو فلسفته متناسقة، محكمة البناء، معتمدا في ذلك كلّه على منهجه الجدلي بنوعيه: الجدل الصّاعد والجدل النّازل.

المبحث الثالث: امتدادات الفلسفة الأفلاطونية وتأثيراتها.

لقد كان للفلسفة الأفلاطونية عموماً، ولفلسفته في المحبة على وجه الخصوص صدًى واسعاً في تاريخ الفكر الغربي، سواءً في المرحلة التي أعقبت وفاته مباشرة أو المرحلة الهلنستية التي نشطت فيها مجموعة من المدارس كالأفلاطونية المحدثة والرواقية والأبيقورية، أو المرحلة المسيحية في العصر الوسيط، وما أعقبها من مراحل أخرى إلى عصرنا هذا.

فالأفلاطونية المحدثة مثلاً، وبزعامة رائدها الأول **أفلوطين*** تغذت بصورة كبيرة من فلسفة الحب الأفلاطونية، ويظهر ذلك في العديد من النقاط، كربطها بين الحب والجمال، حيث يرى أفلوطين بأنّ الجمال " موضوع محبة النفس لأنّه من طبيعتها، وهو ينتمي إلى عالم الحقائق العقلية، فهو بطبيعته أقرب إلى النفس منه إلى طبيعة المادّة، ولذلك ترتاح إليه وتحبّه، في حين يكون القبيح أقرب إلى طبيعة المادّة"³⁹.

وبنت المدرسة الرواقية مشروعها الفكري الهادف إلى إقامة المدينة العالمية، بنته على جملة من الأسس من بينها الحب حيث تتجلي وفقها الأخوة، ووحدة الجنس البشري. أمّا الفكر المسيحي الوسيط، وإن كان متأثراً بشكل كبير بالمسيح عيسى عليه السلام حول المحبة، كقوله ** عليه السلام: " لقد سمعتم ما قد قيل: (أحبوا جيرانكم وكرهوا أعداءكم)، و لكنّي أقول لكم: (أحبوا أعداءكم وادعوا لأولئك الذين يضطهدونكم كي تكونوا عيال الله في السّماء، فهو الذي يأمر الشّمس أن تشرق على الفاسق، وينزل المطر على البار والفاجر، فأنتم إن أحببتم أولئك الذين يحبونكم فقط فما هو الفضل الذي قدّمتموه؟ وإذا كنتم تسلمون على إخوانكم وأخواتكم فقط فما الذي تفضلون غيركم؟ أليس ما يقوم به الأغيار هذا العمل عينه؟ فكونوا كاملين في أخلاقكم كما هو أبوكم في السّماء كامل"⁴⁰.

إلا أنّ المفكرين المسيحيين اللاّهوتيين لم يستطيعوا أن يديروا ظهورهم للتراث الفكري اليوناني، بما في ذلك التراث الأفلاطوني، وما تضمنه من فلسفة عميقة في المحبة على وجه الخصوص؛ فربطوا بين الحب

* ولد سنة 205 م في ليقو بوليس في أواسط مصر، وتوفي سنة 270 م، اشتهر بمؤلفاته الغزيرة والتي جمعها تلميذه فورفوريوس تحت عنوان: "التاسوعات"، تعتبر فلسفته بمثابة قراءة جديدة لفلسفة أفلاطون، من أهم آراءه الفلسفية القول بوحدة الوجود.

-انظر: فؤاد زكريا، مدرسة الإسكندرية في الفلسفة والعلم، د ط (الإسكندرية: دار الوفاء، 2004 م) ص 28.

1- أميرة حلمي مطر، المرجع السابق، ص 105.

** تعمداً نقل المقولة رغم طولها، بالنظر لأهميتها وعمقها، وتربطها، بحيث يعسر بتر بعض أجزائها أو تلخيصها دون الإخلال بمعناها.

2- دوغلاس ليونارد، القيم المشتركة بين المسيحية والإسلام، مجلة التفاهم (مجلة فصلية فكرية إسلامية تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان)، العدد 33، السنة التاسعة، صيف 2011 م، ص-ص، 170-171.

والقيم الأخرى كالمعرفة والفضيلة، وبأن "العالم كُلُّه ولد في الحب، يتغلغل فيه الحب ويحركه ويُعشّه من الدّاخل، ذلك لأنّ الحب يجري في الكون كما يجري الدّم في جسم الكائن الحي"⁴¹. وربطوا الحب بالامتلاك فقالوا: " لكي تُحب الله فلا بدّ أن تكون قد امتلكته بالفعل، وبما أنّ ذلك الذي تبحث عنه تحبه، فإنّ ذلك الذي تبحث عنه تمتلكه "⁴². وهي نفس الأفكار التي سيقول بها الفيلسوف الفرنسي "باسكال" (1662-1623م) ويطوّرها لاحقاً.

بعد هذا العرض الوجيز لتأثير الفلسفة الأفلاطونية في المحبة على بعض الفلاسفة والمدارس الفلسفية ، أثّرنا أن نقف عند نموذج لتيار فلسفي عريق وشهير بفلسفته عموماً وفلسفته في المحبة خصوصاً، وهذا التيار يتمثّل في المدرسة الرواقية، التي سنحاول بسط أهمّ أرائها في المحبة، ثمّ كشف مدى تأثيرها بفكر أفلاطون في هذا المضمار.

⁴¹ - اتين جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة وتعليق: امام عبد الفتاح إمام، ط3 (القاهرة: مدبولي،

1996) ص 342 .

⁴² - المرجع نفسه، نفس الصفحة .

- إشكالية المحبة عند الرواقية وتأثيراتها الأفلاطونية:

إذا كان الاسكندر المقدوني قد استهدف إقامة دولة عالمية تدين بالثقافة اليونانية من خلال فتوحاته العسكرية، فإن المدرسة الرواقية * وضعت نفس الغاية نصب عينيها ولكن بوسيلة مختلفة، فإذا كانت وسيلة الاسكندر الأكبر سياسية عسكرية، فإن وسيلة الرواقيين فلسفية إنسانية، وقد وضعت مشروعاً فكرياً انبنى على مجموعة من الأسس في سبيل قيام المدينة العالمية، وهذه الأسس هي "وحدة الوجود، الوحدة الإنسانية العيش وفقاً للطبيعة، الإيمان بسيادة الحب على الوجود" ⁴³.

والذي يهمننا في دراستنا هذه هو تسليط الضوء على الأساس الرابع الذي تقوم عليه مدينتهم العالمية ألا وهو (الحب)، وذلك لمعرفة مدى تأثيرهم بفلسفة الحب الأفلاطونية.

لنتساءل إذن: ما هي أهم ملامح فلسفة الحب الرواقية؟ وإلى أي مدى يمكن القول بأنها استقت من ينباع الفلسفة الأفلاطونية؟

يعتبر الرواقيون الحب بمثابة الرباط الوثيق الذي يجمع بين سكان المدينة العالمية، ويؤلف بين قلوبهم، لقد اهتم رواد هذه المدرسة العريقة بالحب أيما اهتمام " والدليل على ذلك الكتب التي خصصوها بأكملها لتناول الحب في العالم، فزينون زعيم الرواقية له كتاب بعنوان (في الحب) وكذلك كريسيبوس في رسالته (فن الحب) وكذلك كتابه (الفصول) ولأرستون كتاب بعنوان (محادثات غرامية)، وتناول "كليانثس" موضوع الحب في أكثر من عمل له منها (في الزواج) و(في الحب) وآخر في (فن الحب) وكذلك (في الصداقة) ⁴⁴.

نظر زينون إلى الحب على أنه " إله يحقق الصداقة والحرية والتناغم، وهذا سبب قوله في (الجمهورية) بأن الحب إله، وأنه يقوم في المدينة كناشر للأمن والأمان ⁴⁵.

* مدرسة يونانية فلسفية أسسها زينون الرواقي في القرن الثالث ق.م، من أبرز روادها كذلك: كريسيبوس، أرستون... إلخ، كتبوا في مواضيع متعددة كالإلهيات والطبيعيات، وفلسفة الاجتماع والأخلاق، وطوّروا المنطق الأرسطي.

1- انظر: أ- ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط2، بيروت: المؤسسة الجامعية، 2005 م) ص 220.

ب- اميل برييه، تاريخ الفلسفة، تر: جورج طرابيشي، ط1، ج2 (بيروت، دار الطليعة، 1982م) ص-ص، 40-41.

⁴⁴- محمود مراد، دراسات في الفلسفة اليونانية، ص-ص، 341-342.

⁴⁵- المرجع نفسه، ص 342.

وقال أيضا في جمهوريته " سوف يعشق الحكيم أولئك الشباب الذين يجسّدون بمظهرهم الخارجي الهبة الطبيعيّة الفاضلة ⁴⁶ ، وهنا نلاحظ التأثير الواضح بالفلسفة الأفلاطونية، التي ربطت ربطاً وثيقاً بين الحب والفضيلة، وإذا كانت الرواقيّة قد رفضت الاقتصار على الحب الشّهواني الذي لا يتعدّى الشّهوة الجنسيّة أو الجمال الجسدي، فهذا الموقف نفسه أكّده أفلاطون على لسانه وعلى لسان أستاذه سقراط في أكثر من محاوره.

عرّف الرواقيّون الحب بأنّه " سعي نحو المودّة مدفوع بالجمال المرئي، البادي وغيته الوحيدة الصّدّاقة وليس المتعة الجسديّة ⁴⁷ .

من هذا التعريف يمكن أن نخرج بملاحظتين:

أولاً: الربط بين الحب والجمال.

ثانياً: الغاية النبيلة السّاميّة التي يستهدفها الحب بعيداً عن المتعة الجسديّة.

ففي الملاحظة الأولى نتذكّر نفس الفكرة الأفلاطونية التي ثماهي بين الحب والجمال، والتي صاغها صاحب المأدبة في أسطوره التي ذكرناها سابقاً (ميلاد الحب في نفس يوم ميلاد أفروديت إلهة الجمال)، وفي جدل الحب الصّاعد.

وفي الملاحظة الثّانيّة نستحضر تقسيم أفلاطون للحب إلى نوعين: نوع سماوي روحاني يستهدف الصّدّاقة والمعرفة والفضيلة والجمال، ونوع أرضي تمثله أفروديت الأرضيّة ويستهدف اللذّة الحسيّة الجنسيّة.

وقد أثر أفلاطون النّوع الأوّل على الثّاني؛ ففي ختام المأدبة نتأمل ونقرأ كيف " شرح ألقبيادس محاولاته المستمرة لغواية سقراط... حيث كان يظنّ أنّ سقراط يُحبّه هذا النّوع من الحب (الحب الجسدي)، وكيف اكتشف في النهاية أنّه كان واحما... فالمحب لسقراط لا يجد له في النهاية سوى الحكمة السّاميّة ذات الطّابع الإلهي التي يعبر عنها في أحاديث تحتوي على صورة من الفضيلة التي تهذب النّفس وتقدّم الصّورة الكاملة للرّجل الكامل الخير المحترم ⁴⁸ .

فليس الحبّ، إذن حبّ شهواني، بل حب يهدف إلى تثمين الرّوابط بين الأصدقاء.

⁴⁶ - محمود مراد، المرجع السابق، ص 343 .

⁴⁷ - المرجع نفسه، ص 343 .

⁴⁸ - مصطفى النشار، مكانة المرأة في فلسفة أفلاطون، دط (القاهرة: دار قباء، 1997 م) ص 103 .

يُعرّف الرّواقيون الحب أيضا بأنّه: " معرفة كيفة اصطياد الشّباب الصّغير الموهوب الفضيلة بالطّبيعة، معرفة مكرسة لتعليمهم كيف يعيشون حياة متّفقة مع الفضيلة "⁴⁹. وهو تعريف يماهي بدوره بين الحب والفضيلة على طريقة أفلاطون. وقد رأوا أيضا بأنّ الحب هو " التزام مشترك بين المواطنين وهو مطلوب لصدّ الطّغيان، ولكي تظلّ الرّوح المعنويّة قويّة وقت الأزمات، ولكي تتقوّى المدينة وتصمد أمام التّهديد الخارجى "⁵⁰.

وهو عين ما تحدّث به أفلاطون حين سمح مثلاً للجنود بأن يتحابوا حبّاً روحانيّاً بإنشاء علاقات خاصة مع بعضهم البعض، حتّى يستطيعوا - بتأثير الحب - أن يصمدوا ويدافعوا ببسالة عن المدينة، وكثيرة هي الصّور الّتي النقطةا لنا أفلاطون، وأبانها لنا في محاوراته في هذا المضمّار .

عموما كانت هذه أهم ملامح فلسفة الحب الرّواقية وتأثير الفلسفة الأفلاطونية عليها، وإن كنّا نرى - من باب الإنصاف - بأنّ الرّواقيين خالفوه في بعض آراءه، فقد جعل زينون مثلاً " الحب حبّاً غيريّاً ومثليّاً على حدّ سواء "⁵¹. المهم أن يكون قائماً على أسس سليمة هادفة إلى خدمة الصّالح العام .

أمّا أفلاطون فاعتبر الحب المثلي الأكثر أهميّة وقداسة، لكونه يولّد أطفالاً روحانيين لا بيولوجيين .

كذلك نادى الرّواقيون " بالإبقاء على الرّواج في المدينة العالميّة وجعلوا الصّدّاقة والمساواة الرّباط بين الرّوجين ، لأنّه الأكثر دواماً "⁵² .

⁴⁹ - محمود مراد، المرجع السابق، ص 343 .

⁵⁰ - المرجع نفسه، ص 347 .

⁵¹ - المرجع نفسه، ص 246 .

⁵² - المرجع نفسه، نفس الصفحة .